

أهداف الدرس

- ## تمهید

الآيات

الفهم

الشرح:

يَفْتَرِفَ حَسَنَةً: يكتسبها.
نَزِدْ لَهُ رِيقًا حَسَنًا: نضاعف له الثواب.
وَيَعْبُوا عَمَّ السَّيِّئَاتِ: يتجاوز عن الذنوب والمعاصي.
استخلاص مضامين الآيات:

- 1 - ما الجزاء الذي أوجبه الله لرسوله ﷺ نظير تبليغه رسالة ربه؟
- 2 - ما دلائل صدق الرسول ﷺ في دعوى النبوة؟
- 3 - بم وعد الله عباده التائبين في الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولاً: تبليغ الرسول ﷺ رسالته دون طلبه أجراً مادياً على ذلك

بعد أن ذكر الله سبحانه بعض نعمه على عباده في الآيات السابقة، وبين أن ذلك فضل كبير منه سبحانه، أشار إلى أن ذلك يعد بشارة عاجلة لعباده المؤمنين، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَؤُلَاءِ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْلَهُمْ وَلَا تُفَوِّضُوا أَمْوَالَكُمُ إِلَىٰ أَيْدِيهِمْ فَهُمْ يَدْفَعُوهَا إِلَيْكُمْ وَلَا يَحْصِيهَا لَكُمْ ۚ ذَلِكُمْ كَيْدٌ شَدِيدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۚ﴾ [آل عمران: 75].
وقوله عز وجل: ﴿فَلَا تَأْسَؤْا لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ ۖ ذَلِكُمْ سَبْطٌ مِنَ اللَّهِ ۚ﴾ [آل عمران: 75]. أي: «قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش: لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم ما لا تعطوني، وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عني وتذروني أبلغ رسالات ربي، إن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة» [تفسير ابن كثير: 199/7].

وفي قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَؤُلَاءِ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْلَهُمْ وَلَا تُفَوِّضُوا أَمْوَالَكُمُ إِلَىٰ أَيْدِيهِمْ فَهُمْ يَدْفَعُوهَا إِلَيْكُمْ وَلَا يَحْصِيهَا لَكُمْ ۚ ذَلِكُمْ كَيْدٌ شَدِيدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۚ﴾ أربعة أقوال:

الأول: أن القربى بمعنى القرابة، و﴿يَعِي﴾ بمعنى: من أجل، والمعنى: لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودوني لأجل القرابة التي بيني وبينكم. فالمقصد على هذا استعطاف قريش، ولم يكن فيهم بطن إلا وبينه وبين النبي ﷺ قرابة.

الثاني: أن القربى بمعنى الأقارب، أو ذوي القربى، والمعنى إلا أن تودّوا أقاربي وتحفظوني فيهم. والمقصد على هذا وصية بأهل البيت.

الثالث: أن القربى قرابة الناس بعضهم من بعض، والمعنى: أن تودوا أقاربكم. والمقصود على هذا وصية بصلة الأرحام.

الرابع: أن القربى التقرب إلى الله، والمعنى إلا أن تتقربوا إلى الله بطاعته، والاستثناء على القول الثالث والرابع منقطع، وأما على الأول والثاني فيحتمل الانقطاع؛ لأن المودة ليست بأجر، ويحتمل الاتصال على المجاز، كأنه قال: لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة، فجعل المودة كالأجر. ﴿وَمَنْ يَفْتَرِ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ رِيبًا حَسَنًا﴾ قوله: ﴿يَفْتَرِ﴾ أي: يكتسب ﴿نَّزِدْ لَهُ رِيبًا حَسَنًا﴾ يعني مضاعفة الثواب. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ أي: «يغفر الكثير من السيئات، ويكثر القليل من الحسنات، فيستر ويغفر، ويضاعف فيشكر» [تفسير ابن كثير: 204/7].

وقوله سبحانه: ﴿أَمْ يَغُولُونَ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أم منقطعة للإنكار والتوبيخ، والمعنى: يقول مشركو قريش افتري محمد ﷺ على الله كذبا، بادعائه النبوة والرسالة ﴿بِإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ فالمقصد بهذا قولان:

أحدهما: أنه رد على الكفار في قولهم: افتري على الله كذبا، أي: لو افتريت على الله كذبا لختم على قلبك، ولكنك لم تفتري على الله كذبا فقد هداك وسددك.

والثاني: أن المراد: إن يشأ الله يختم على قلبك بالصبر على أقوال الكفار وتحمل أذاهم ﴿وَيَمِمْعُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ هذا فعل مستأنف غير معطوف على ما قبله، لأن الذي قبله

مجزوم ، وهذا مرفوع حذفت واوه من المصحف ، فيوقف على ما قبله ويبدأ به . وفي المراد به وجهان :

أحدهما : أنه من تمام ما قبله ، أي : لو افتريت على الله كذبا لختم على قلبك ومحا الباطل الذي كنت تفتريه لو افتريت .

والثاني : أنه وعد لرسول الله ﷺ بأن يمحو الله الباطل وهو الكفر .

﴿وَيَعُوذُ الْعَوْدُ بِكَلِمَاتِهِ﴾ ويحق الحق وهو الإسلام ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

«عام ، أي : بما في قلوب العباد . وقيل : خاص . والمعنى أنك لو حدثت نفسك أن تفتري على الله كذبا لَعَلِمَهُ وَطَبَعَ على قلبك» [تفسير القرطبي : 25/16] .

ثانيا : وعد الله بقبول توبة عباده

بين الله سبحانه في هذه الآيات أنه يقبل توبة عباده ، فقال عز وجل : ﴿وَنُفِثَ لَكُمْ فِيهَا لَقِينٌ ذُو مِرَّةٍ وَهُوَ يَقُولُ إِنَّ عَلَيْكُمُ الْعَذَابَ الْهَلْكَاءَ﴾ . وقبول التوبة على ثلاثة أوجه :

أحدها : التوبة من الكفر ، فهي مقبولة قطعا .

والثاني : التوبة من مظالم العباد ، فهي غير مقبولة حتى تُرَدَّ المظالم أو يُسْتَحْلَ منها .

والثالث : التوبة من المعاصي التي بين العبد وبين الله ، فالصحيح أنها مقبولة بدليل هذه الآية ، وقيل : إنها في المشيئة .

﴿وَيَعْبُوهَا عَمَلُ السَّيِّئَاتِ﴾ العفو مع التوبة على حسب ما ذكرنا ، وأما العفو دون التوبة فهو على أربعة أقسام :

الأول : العفو عن الكفر ، وهو لا يكون أصلا .

الثاني : العفو عن مظالم العباد ، وهو كذلك .

الثالث: العفو عن الذنوب الصغائر إذا اجتنبت الكبائر ، وهو حاصل باتفاق .

الرابع: العفو عن الكبائر ، ومذهب أهل السنة أنها في المشيئة .

﴿وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: وهو مطلع على ما يقومون به من أعمال .

وقوله سبحانه: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معنى يستجيب: يجيب ، والذين آمنوا مفعول ، والفاعل ضمير يعود على الله تعالى ، أي: يجيبهم فيما يطلبون منه . وقال الزمخشري: أي: أصله يستجيب للذين آمنوا فحذف اللام .

والثاني: أن معناه يجيب ، والذين آمنوا فاعل ، أي: يستجيب المؤمنون لربهم باتباع دين .

والثالث: أن معناه: يطلب المؤمنون الإجابة من ربهم ، واستفعل بهذا على بابه من الطلب ، والأول أرجح لدلالة قوله: ويزيدهم من فضله ، ولأنه قول ابن عباس ومعاذ بن جبل . ﴿وَيَزِيدُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾ أي: يزيدهم ما لا يطلبون ، زيادة على الاستجابة فيما طلبوا ، وهذه الزيادة روي عن النبي ﷺ أنها الشفاعة والرضوان .

وقوله سبحانه: ﴿وَالْكَافِرُونَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ﴾ «لما ذكر المؤمنين وما لهم من الثواب الجزيل ، ذكر الكافرين وما لهم عنده يوم القيامة من العذاب الشديد الموجه المؤلم يوم معادهم وحسابهم» [تفسير ابن كثير: 206/7] .

يستفاد من هذه الآيات ما يأتي:

- وجوب حفظ حقوق الأقارب ، وبذل الاحترام اللازم لهم .
- وجوب حب أهل بيت الرسول ﷺ ، وتجنب كل ما يسيء إلى مقامهم الشريف .
- مضاعفة الله تعالى أجر المحسنين وزيادته من فضله ثواب المؤمنين .

- ضرورة تجديد التوبة بالليل والنهار ، مع الحرص على توفر شروطها ، طمعا في قبولها عند الله سبحانه .

التقويم

- 1- ما الأمور التي تثبت صدق الرسول ﷺ في تبليغ رسالته؟
- 2- ما شروط التوبة التي تضمنتها الآيات؟ وما الشروط الأخرى المتبقية؟
- 3- كيف أهتدي بهذه الآيات في تزكية نفسي وتقوية إيماني؟

الاستثمار

عن الحارث بن سويد، حدثنا عبد الله بن مسعود، حديثين: أحدهما عن النبي ﷺ، والآخر عن نفسه، قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا»، قَالَ أَبُو شَهَابٍ بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَلَّهِ أَفْرَحُ بِتُوبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ وَالْعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ»

[صحيح البخاري: كتاب الدعوات، باب التوبة].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

- 1- أستنتج القيم الواردة في النص وأربطها بمضامين الآيات.
- 2- كيف أتمثل تلك القيم في حياتي؟

● الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 25 - 27 من سورة الشورى وأجيب عن الآتي:

- 1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: **بَسَّكَ** - **لَبَغَوْا** - **يَفْقَدِر** - **بَثَّ**.
- 2- ما الحكمة من تفاوت الناس في أرزاقهم؟